الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٣٤ هـ مايو/يونيو ٢٠١٣ م الجزء "٧" السنة "٨٦"

الافتتاحية

الفريضة الغائبة المنشودة
أ. د. محمد عمارة

شيخ الأزهر
أ.د. أحمد الطيب

كتاب فيه عدوان على الشريعة الإسلامية
أ. د. علي جمعة

فضيلة الشيخ عبد المجيد صبح

حول التصور العقدي في الإسلام
المستشار طارق البشري

بنو إسرائيل في الكتاب والسنة
أ. د. محمد سيد طنطاوي

فضيلة الشيخ أحمد فضلية

هدية العدد

السياسة الشرعية والفقه الإسلامي
الجزء الثاني

للإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج — تقديم وتعليق أ. د. محمد عمارة

www.AlazharMag.com

داخل العدد

● الافتتاحية (الفريضة الغائبة.. والمنشودة)
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٣٤٦
● التراث والتجديد
لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر ١٣٥٢
● تفسير سورة البقرة للشيخ/ محمد عبده ١٣٦٠
● بيان رد الشبهات عن القرآن الكريم
الشيخ/ عبدالمجيد صبح ١٣٦٧
● تاريخ النزول وسببه للشيخ/ محمد الغزالي ١٣٧٢
● أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي (٣)
أ.د/ محمد المختار المهدي ١٣٨٢
● آيتا الإسراء والمعراج الشيخ/ معوض عوض إبراهيم ١٣٨٧
● أقسام السنة عند الشيخ عبد الجليل عيسى ١٣٩٠
● العربية.. قضاياها على لسان علمائها ومؤتمراتها الأممية غير العربية
للإمام/ محمد البشير الإبراهيمي ١٣٩٤
● كتاب فيه عدوان على الشريعة الإسلامية
أ.د/ على جمعة ١٤٠٠
● نظرة إجمالية إلى الإسلام (٢) للعلامة/ فتح الله كولن ١٤٢٠
● إسلام واحد ورؤى متعددة أ.د/ محمد شامة ١٤٢٦
● حول التصور العقدي في الإسلام
المستشار / طارق البشري ١٤٣٢
● الاجتهاد في مقاصد العقائد د/ جاسر عودة ١٤٣٨
● الوظائف التربوية والدعوية لمقاصد الأحكام الفقهية (٣)
د/ وصفي عاشور أبوزيد ١٤٤٤
● دلائل الإعجاز في مقاصد الشريعة (٣)
أ.د/ محمد الشحات الجندي ١٤٥٠
● من عيون التراث.. الثواب في تسلية المصاب
١٤٥٥
● قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ١٤٥٦
● التربية الروحية الإسلامية والخروج من أزمات المعرفة المعاصرة
د/ طه عبدالرحمن ١٤٥٨
● شجاعة الإيمان أ.د/ نظمي لوقا ١٤٦٨

● تأملات في السيرة (غزوة بني المصطلق ٢)
فضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ١٤٧٣
● بنو إسرائيل في الكتاب والسنة أ.د/ محمد سيد طنطاوي ١٤٧٧
● فتاوى الحائرات د. منصور عبدالوهاب ١٤٨١
● قصص الأنبياء (عودة موسى إلى مصر ودعوته لفرعون)
للعلامة الشيخ/ عبدالوهاب النجار ١٤٨٢
● الإمام المجدد محمد عبدالله درزوجوده في خدمة السنة النبوية
للشيخ/ أحمد مصطفى فضلية ١٤٨٥
● على الغاياتي.. شاعرا الإسلام والوطنية
أ.د/ حلمي محمد القاعود ١٤٨٨
● من تراث الهلال (عبدالوهاب عزام سفير العروبة الجوال)
أ. عاطف مصطفى ١٤٩٢
● فتاوى لها تاريخ (الأسهم والسندات)
الشيخ/ محمود شلتوت ١٤٩٦
● استفتاءات القراء أ.د/ شوقي علام ١٤٩٨
● فطيرة التمر من رواسب الجاهلية أ.د/ أحمد عمر هاشم ١٥٠٢
● حرمة المال العام الشيخ/ فوزي فاضل الزفزاف ١٥٠٤
● مكتبة مجلة الأزهر للأستاذ/ محمد شعبان ١٥٠٨
● ندوة تحرير العلوم الفقهية متابعة الأستاذ/ محمد جمعة ١٥١٠
● فرص التمكين الاقتصادي للمرأة عبر التمويل متناهي الصغر
للأستاذين: رمضان ثابت ـ سعد فتحي ١٥٢٢
● خميلة الشعر للأستاذ/ محمد عبدالوهاب ١٥٢٦
● من ألف وقف لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٥٣٢
● قراءة في كتاب للأستاذ/ عادل خفاجة ١٥٣٤
● بين المجلة والقارئ للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ١٥٤١
● الصحفيو المجلة الأستاذين: عبدالله كمال ـ أبوالسعود محمد ١٥٤٥
● أنباء الأزهر للأستاذين/ محمود الفشني ـ عبدالموجود أمين ١٥٤٩
● أنباء العالم الإسلامي للأستاذين: يحيى سليمان ـ أحمد رضوان ١٥٥٣
● القسم الإنجليزي للأستاذ/ إبراهيم الأصيل ١٥٦٨

إلى السادة قراء مجلة الأزهر

تتوافر لدى إدارة مجلة الأزهر بعض الأعداد السابقة، فمن فاته عدد ويرغب في الحصول عليه فيمكنه التوجه لمقر مجلة الأزهر بمجمع البحوث الإسلامية - شارع الطيران - مدينة نصر - الدور الثاني.

الاجتهاد فى مقاصد العقائد
مقاصد صفتى المعطى والمانع نموذجًا

١

د. جاسر عودة
المدير السابق لمركز مقاصد الشريعة الإسلامية بلندن

مقاصد الاعتقاد باب من أبواب المقاصد كبقية الأبواب الأخري: قديم جديد. قديمًا بحث فيه الأئمة وتحدثوا عنه بمصطلحات تختلف عن مصطلح «مقاصد العقائد» فى الشكل ولكنها تتفق فى المضمون، وذلك كحديثهم عن «الأسرار»، و«الحكم» و«الأغراض» و«المحاسن» و«المناقب» التى تتعلق بالعقائد من إيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، إلى صفات الله تعالى وأفعاله، وغير ذلك من مسائل الاعتقاد.

ومن الأمثلة على هؤلاء الحكيم الترمذي، والذى كتب عن أسرار و«علل» العقائد بأسلوب صوفى غلب عليه تجربته الصوفية الخاصة فى كتابيه «إثبات العلل»، (١) و«الحج وأسراره»(٢) وكابن بابويه القمى الذى ضمن كتابه «علل الشرائع» تفسيرات عقلية وحكم وأسرار للإيمان بالله، والرسل، والغيب، وما إلى ذلك من عقائد، إضافة إلى ما كتبه فى نفس الكتاب عن أسرار الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وبر الوالدين، وغير ذلك من أحكام. (٣).

أما العامرى الفيلسوف فى «مناقبه»، فقد قارن بين الإسلام وغيره من الأديان من ناحية العقائد. وبحث فى الحكم والأسرار و«المناقب» فى إثبات الصانع تعالى، والرسل، والملائكة، والمعاد، وغير ذلك من العقائد. (٤).

وأما محمد الزاهد البخارى فى كتاب الإيمان من كتابه «محاسن الإسلام» (٥) فقد تناول محاسن الشهادة بالتوحيد وفصل القول فى ذلك.

وأما الإمام الغزالي، فقد أشتهر بنظراته المبدعة

١- راجع: كتاب إثبات العلل للحكيم الترمذي: (تحقيق ودراسة خالد زهري)، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ١٩٩٨م

٢- تحقيق حسنى نصر زيدان، دار السعادة، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣- ابن بابويه الصدوق القمي، علل الشرائع، تحرير محمد صادق بحر العلوم، دار البلاغة، النجف، ١٩٦٦.

٤- أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق ودراسة: د. أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربى للثقافة والنشر - القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٥- محمد بن عبدالرحمن الزاهد البخاري، محاسن الإسلام، مكتبة حسام الدين المقدسى - القاهرة، ١٣٨٦ هـ

فـى «الأسـرار»، والتـى تعـدى بهـا الحديث عن الأحكام والعبادات والمعامـلات - كما فى إحياء علـوم الدين - إلى الحديث عن أسـرار العقائد فى معرض كلامه عن «معارف الأولياء وأحوالهم»(٦) وقد كتب العز بن عبدالسـلام عن أسـرار قرب الله عـز وجل، وعظمتـه، وعلوه، وأثر ذلـك المتوقع على العبد خضوعًا وخشـوعًا وتذللاً لله تعالى (٧) والإمـام القرافى كتب عـن مقاصد تمييز ما لله عن ما ليـس له على سـلوك المكلـف (٨) وأما الإمام الشاطبي. فقد دافع عن التعليل لتفاصيل الأحكام فى الكتاب والسـنة (والتى تشـمل العقائد) وعن الاسـتقراء منهجًـا لاسـتنباط العلـل والمقاصـد منهـا(٩) وغيـر هـؤلاء مـن العلمـاء كثيـر ممن كتبـوا فى «مقاصد العقائـد» وقاربوا نفس المعنى بأساليب مختلفة (١٠)

وبعد عصر السلف ذكر إمام الهند شاه ولى الله الدهلوى كلامًا نفيسًـا عن مقاصـد العقائد فى الله تعالى، وذلك فى أبواب متعددة من «حجته»، كباب الإيمان بصفـات الله تعالي، وباب الإيمان بالقدر، وبـاب الإيمان بأن العبادة حق الله تعالى على عباده لأنه منعـم عليهم مجاز لهم بالإرادة، وباب تعظيم شعائر الله (القرآن، والكعبة، والنبى، والصلاة)، وغير ذلك من الأبواب الاعتقادية(١١).

ومـن العلمـاء المعاصريـن، كتـب العلامـة الشـيخ يوسـف القرضاوى عن مدى السـعة فى مجال البحث فى مقاصد الشريعة، فقال: «الذى أرجحه، أننا نعنى مقاصد الإسلام كله، وأحسب أن الأصوليـين الذيـن حصروا مقاصد الشـريعة فـى الكليات الخمس، أرادوا أن تشـمل العقائد فيما تشـمل، ولهـذا جعلوا الدين هـو الضرورة الأولـى. والعقائد هى رأس الدين وأسـاس بنيانه كله»(١٢).

وحـث الدكتور أحمد الريسـونى علـى تفعيل البحث فى مقاصد العقائد فكتب يقول: (١٣)

وهذا المجـال فى تقديرى هو أهـم المجالات والآفـاق التى علـى البحـث المقاصـدى ارتيادها وإلحاقها بمجالات الدراسات المقاصدية، وأعنى به البحث فى (مقاصد العقيدة الإسلامية)، تماما مثلما بحـث السـابقون ويبحـث المعاصرون فى (مقاصد الشـريعة الإسـلامية). وليسـت شرائع الإسـلام أولـى بالعنايـة وبالبحـث عـن مقاصدها مـن عقائد الإسـلام. فلمـاذا نجد الحديـث ينمو ويتكاثـر عن مقاصـد الأحكام ولا نجد شـيئًا عن مقاصـد العقائد.. مجـال العقائد (علـم التوحيد

٦- أبـو حامـد الغزالي، شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق: د. حمدى الكبيسي، مطبعة الإرشاد - بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٧- راجع: العز بن عبدالسلام، مقاصد الصلاة، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٩٩٥م.

٨- راجع: أحمد بن إدريس المالكى الشهير بالقرافى، الأمنية فى إدراك النية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩- راجـع: الموافقـات فى أصول الفقـه، أبو إسحاق الشاطبى الغرناطـي، تحقيق: عبد الله دراز، محمد عبـد الله دراز، عبد السلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ب-ت.

١٠- راجـع: محمد كمال إمام، الدليـل الإرشادى إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، مركز دراسـات مقاصد الشريعة، لندن، ج١ - ج٦، ٢٠٠٦ - ٢٠١١.

١١- شاه ولى الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق سيد سابق، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م

١٢- راجـع: يوسـف القرضاوى في: محمد سليم العوا محررًا، مقاصد الشريعة الإسلامية: فى قضايا المنهج وقضايا التطبيق لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة، ٢٠٠٦م

١٣- راجع: أحمد الريسوني، البحث فى مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله، فى: محمد سليم العوا، محررًا، مقاصد الشريعة الإسلاميـة دراسات فى قضايا المنهج وقضايا التطبيق (لنـدن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة، ٢٠٠٦م).

وعلم الكلام) قد خلا تقريبًا من النظر المقاصدى، وكأن عقائد الإسلام ليس لها مقصد ولا غرض ولا ثمرة ترجى، وأن على المكلف أن يعتقدها ويعقد عليها قلبه ليس إلا.. المهم لكى تستعيد عقائدنا وجهها الحقيقى وتؤدى دورها الحقيقى، وتستعيد موقعها الأساسى فى حياتنا وعلومنا وثقافتنا، لابد من البحث فى مقاصدها الشرعية، ودراستها والتعامل معها فى ضوء مقاصدها تلك. فهذا مجال كبير وبكر من مجالات (علم المقاصد)، يحتاج إلى باحثين أفذاذ ومستكشفين رواد.

ومن تلاميذ الأستاذ الدكتور الريسونى بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط من كتب فى هذا الموضوع رسائل علمية جادة جددت البحث فى كثير من الجوانب، وقدمت محاولات رائدة فى هذا العلم، كالأستاذ محمد عبده الذى قدم رسالة عن «مقاصد العقائد عند الإمام الغزالي» (عام ٢٠٠٢م)، والأستاذة يامنة همورى التى قدمت رسالة عن «مقاصد العقيدة ومقاصد الشريعة عند الإمام فخر الدين الرازى (عام ٢٠٠٣م)، وغيرهما.

ونوه الأستاذ الدكتور نور الدين بن مختار الخادمى كذلك على أهمية التفرقة بين مجالات العقيدة القطعية التى لا تقبل الاجتهاد المقاصدى، ومجالات العقيدة الظنية التى تقبل الاجتهاد المقاصدي، مثل الوسائل الخادمة للعقيدة (١٤). وبين الدكتور يوسف أحمد محمد البدوى فى كتابه عن ابن تيمية كيف أنه لم يراع المقاصد فى الفقه وأصوله فحسب، بل فى كل أبواب الشريعة، حتى فى العقيدة والأخلاق والسلوكيات، وحرص على ربط الجزئيات بالكليات فى الإسلام وبيان مقاصدها (١٥) وأشار الدكتور محمد الزحيلى إلى أن العقيدة بمختلف أصولها وفروعها إنما جاءت لرعاية مصالح الإنسان وتحقيق السعادة لهم فى الدارين (١٦) وغير هؤلاء كثير (١٧)

وهذا البحث يهدف إلى إضافة متواضعة فى هذا الباب عن طريق التفكر فى صفتين من صفات الله عز وجل تحدث عنهما الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندرى فى حكمه القيمة وتوجيهاته المركزة المعروفة بحكم ابن عطاء الله(١٨) بدا لى أن انتقى منها ما يبين الأسرار والحكم والمصالح الدينية والدنيوية التى يحصلها العباد من اعتقادهم بهاتين الصفتين، وما قصده الله عز وجل من تجليه على عباده عطاء أو منعًا، وهو الذى بيده الخير دائمًا - سبحانه - وهو على كل شيء قدير.

وأبدأ قبل الشروع فى مقاصد العلم بصفتى

١٤- راجع: نور الدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، ضمن سلسلة كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر، ج١، العدد ٦٥، جماد الأول ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة، وج٢، العدد ٦٦، رجب ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة.

١٥- راجع: يوسف أحمد محمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٦- راجع: محمد مصطفى الزحيلي، مقاصد الشريعة، بحث منشور فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، السنة السادسة، العدد السادس، ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ.

١٧- راجع: محمد كمال إمام، الدليل الإرشادى إلى مقاصد الشريعة، مركز دراسات مقاصد الشريعة، لندن، ج١ - ج٦، ٢٠٠٦ - ٢٠١١.

١٨- العارف بالله الشيخ الإمام أحمد بن عطاء الله السكندرى رحمة الله ورضى عنه، واسمه على مسمى! فقد أعطاه الله من العلم والحكمة الشيء الكثير فهو فقيه، ومحدث، ونحوي، وله باع فى علوم شرعية ولغوية مختلفة، بالإضافة إلى علو كعبه فى علم التصوف وقد كان معروفا كذلك - رحمة الله - بإمامته فى الفقه المالكي، وشهد له مشايخه وتلاميذه ومعاصروه بالقدرة على الإفتاء والدعوة فى (المذهبين)، أى مذهب أهل السلوك ومذهب أهل الفقه، وله مؤلفات كثيرة معروفة، وناظر شيخ الإسلام ابن تيمة - وكان من معاصريه - فى بعض المسائل، وقد عاش ابن عطاء الله فى القرن السابع فى الإسكندرية المصرية، ومات فى بدايات القرن الثامن الهجرى (٧٠٩هـ)، رحمه الله ورضى عنه.

العطاء والمنع، والتى سوف أعرضها بأسلوب مبسط على هيئة خواطر وأسئلة وأجوبة - أبدأ بمناقشة موجزة بأسلوب أكثر أكاديمية للسؤال الفلسفى (الكلامى) المتعلق بهذا الموضوع، ألا وهو هل العقائد الإسلامية معللة بأغراض؟

هل العقائد الإسلامية معللة بأغراض؟

هذا السؤال يتعلق بسؤال كثر حوله الجدل فى تراثنا الإسلامى الكلامي، ألا وهو السؤال: «هل أفعال الله معللة بأغراض؟» ومن المهم أن نلاحظ أن مفهوم العلة أو السبب لم يكن يجرى فى علم الكلام التفريق بينه وبين مفهوم الغرض أو المقصد أو الحكمة(١٩) وإنما كان يجرى التفريق بين هذين المفهومين فى مجال الاجتهاد الفقهى(٢٠) إن البحث الفلسفى الكلامى حول التعليل ذو علاقة بهذا البحث، لأن الشريعة الإسلامية نفسها هى من حيث العقيدة «فعل إلهى» أتتنا عن طريق الوحى، والأغراض التى من وراء الشريعة هى إذن مقاصد الشريعة. فالسؤال إذن هو هل هناك من قصد من وراء تنزيل الله تعالى لهذه الشريعة؟ وقد أعطانا الكلاميون عن هذا السؤال ثلاثة أجوبة:

(أ) من قالوا إن أفعال الله «يجب عليه» أن يكون لها مقاصد، وبالتالى فإعلامنا بهذه المقاصد «يجب على الله تعالى» أن يكون له غرض فيها: قسم المعتزلة والشيعة (كلهم عدا بعض الاستثناءات) كل الأفعال إلى أفعال «حسنة» وأفعال «قبيحة»،(٢١) واعتقدوا فى كل شيء حسنًا أو قبحًا ذاتيًا غير قابل للتغير بتغير الظروف ثم اعتقدوا أن العقل الإنسانى قادر بذاته على ما أطلقوا عليه «التحسين والتقبيح العقليين»، أى على معرفة الحسن من القبيح ولو دون وحى إلهى. ولأن تحديد التحسين والتقبيح أعمال عقلية، فإن المعتزلة طبقوهما سواء بسواء على البشر وعلى الله تعالى (وكان هذا بناء على «أصل العدل»). وإذن، فى حق البشر تكون الأفعال الحسنة عندهم «واجبة» وتكون الأفعال القبيحة «محظورة»، وفى حق الله تعالى تكون الأفعال الحسنة واجبة عليه، والأفعال القبيحة هى أفعال «يستحيل عليه فعلها»، حسب تعبيرهم. ويعتقدون أيضًا أن الأفعال التى لا علة ولا غرض لها عبث قبيح لا يجوز على الله، ولهذا فهم يعتقدون أن كل أفعال الله تعالى «معللة». (٢٢)

(ب) من قالوا إن الله تعالى منزه عن الأسباب والمقاصد والأغراض كان الأشاعرة والسلفية - كرد فعل على المعتزلة - قد أقروا بأن الفعل يمكن أن يكون «حسنًا» أو «قبيحًا»، ولكنهم قرروا أن تقرير القبح والحسن هو من الشريعة لا من العقل. ففى غياب الشريعة - عندهم - يمكن أن يكون أى فعل «حسن» أو «قبيح» على حد سواء (إلا العلم فى مقابل الجهل، والعدل فى مقابل الظلم)، (٢٣) وقالوا بناء على ذلك إن الله تعالى «لا يجب عليه» فعل شئ أصلاً، وإن كل ما يفعله هو «خير» و«حسن». لهذا يعتقد الأشاعرة أن أفعال الله تعالى هى «فوق الأسباب»، لأن من يفعل

١٩- يمكن الرجوع مثلاً إلى: الشاطبى، الموافقات، المجلد ١، ص ٣٧١ والمجلد ٣، ص ١.

٢٠- جاسر عودة، فقه المقاصد: إناطة الأحكام الشرعية بمقاصدها (فيرجينيا، المعهد العالمى للفكر الإسلامي، ٢٠٠٦م)، ص ، ٥١.

٢١- أحمد بن تيمية، دقائق التفسير، تحرير محمد الجليند (دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٤هـ)، المجلد ٢، ص ١١٠.

٢٢- محمد الطيب البصري، المعتمد فى أصول الفقه، تحرير خالد الميس، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ) المجلد ٢، ص ١٨٤، راجع أيضاً: أحمد الطيب، «نظرية المقاصد عند الشاطبى ومدى ارتباطها بالأصول الكلامية»، المسلم المعاصر، رقم ١٠٣ (٢٠٠٢)، ص٣٩ ، وطه جابر العلوانى، «مقاصد الشريعة»، فى مقاصد الشريعة، تحرير عبدالجبار الرفاعى (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١)، ص ٧٥، وحسن الشافعى، «الآمدى وآراؤه الكلامية»، الطبعة الأولى (القاهرة: دار السلام ١٩٩٨)، ص ، ٤٤١.

٢٣- راجع: الطيب، «نظرية المقاصد».

الشيء لسبب هو بحاجة إلى ذلك السبب، بينما الله تعالى لا يحتاج لشئ. (٢٤) واحتج الأشاعرة أيضًا بأن الله تعالى هو مسبب الأسباب، وخالق الأسباب، وخالق نتائجها كذلك، ولهذا فهو يفعل ما يشاء دون أن يحتاج أن يلتزم بأى شيء يلزمنا من أحكام الأسباب والمسببات». (٢٥)

(ج) من قالوا إن أفعال الله تعالى لها أسباب ومقاصد رحمة منه بعباده، وهو قول الماتريدية، ورأوا أن المعتزلة مصيبون فى اعتقادهم أن أفعال الله تعالى مسببة، ولكنهم مخطئون فى جعل الله وكأنه ملزم أو «يجب عليه» أن يفعل ما يفعل وارتأى الماتريدية أيضًا أن الأشاعرة مصيبون فى قولهم إن الله تعالى «لا يحتاج» إلى الأسباب، ولكنهم قالوا إن الأسباب والمقاصد والمصالح هى «حاجات» للبشر، لا لله تعالى وقبل الماتريدية مبدأ التحسين والتقبيح، ولكن «العقل» عند الماتريدية لا يملك السلطة ليحكم مستقلاً عن الشرع على ما هو حسن وما هو قبيح، وإنما العقل «آلة» منحها الله للإنسان لكى يدرك الحسن والقبح إذا أعلم به (٢٦).

ولكن كثيرًا من الأئمة الذين انتموا إلى الأشاعرة خالفوا الموقف الأشعرى فى الواقع فيما يخص عدم تعليل أفعال الله بأسباب، وتبنوا موقفًا هو أقرب إلى موقف الماتريدية ولعل الظروف السياسية والخوف من الاضطهاد - فيما يبدو لى - هو الذى جعلهم يعلنون رفضهم الكلى والجزئى لمبدأ «التحسين والتقبيح» العقلي، كالآمدي،(٢٧) والشاطبى، (٢٨) وابن تيمية،(٢٩) وابن القيم، (٣٠) وابن رشد. (٣١) وقد كان هجوم ابن رشد على الأشاعرة هو الأشد، فقد كتب فى نقده لكتاب «التهافت» بأن: «أولئك الذين ينفون الأسباب ينفون العقل نفسه» (٣٢) والجدير بالذكر هنا أن الشاطبى اعتبر مقاصد الشريعة العامة من «أصول الدين وكليات الملة»، أى أن ثبوت المقاصد نفسها عنده من مسائل الاعتقاد ولو كان طريق إثباتها الاستقراء للنصوص الشرعية، الذى وسمه الأشاعرة بالظنية(٣٣)

وإنه بناء على الاستقراء كذلك، فإن لله عز وجل أغراضاً ومقاصد من تعليم العباد عن صفاته وأفعاله - عز وجل - مما يظهر بوضوح فى نصوص كثيرة، نذكر بعضها هنا على سبيل المثال:

يقول تعالي:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

(الحديد :٢٢- ٢٣).

٢٤- نفس المصدر.

٢٥- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، الطبعة الأولى (بيروت : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ودار الهادى، ٢٠٠١)، ص .٧٥.

٢٦- شهاب الدين الألوسي، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار إحياء التراث العربى، بدون تاريخ) المجلد ١٥، ص

٢٧- على أبو الحسن الآمدى، الإحكام فى أصول الأحكام، تحرير سيد الجميلى، الطبعة الأولى (بيروت دار الكتاب العربى، ١٤٠٤هـ) المجلد ٣، ص ٢٤٩.

٢٨- الشاطبى، الموافقات، المجلد٢، ص .٦.

٢٩- الطيب، «نظرية المقاصد».

٣٠- ابن القيم، إعلام الموقعين، المجلد ٣،ص٣.

٣١- ابن رشد، تهافت التهافت.

٣٢- نفس المصدر.

٣٣- الشاطبى الموافقات المجلد ٢،ص ٢٥.

و«لكيلا» هنا للتعليل، أى أنه سبحانه وتعالى أخبرنا عن الكتاب الذى كتب فيه كل شيء، لكيلا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا، وهو إذن يقصد أن نستفيد هذه الفوائد النفسية والدينية من تعليمنا هذه المسألة العقدية ويقول تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾

(الحج: ٤٠).

وهو يبين المقصود من سنة التدافع التى خلق الله العباد على نظامها، ألا وهو إحلال السلام، ومنع الحروب وهدم بيوت العبادة.

ويقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾

(الشورى: ١٩).

فصفات اللطف والقوة والعزة هنا القصد منها أن نوقن أنه سبحانه يرزق من يشاء وأن العباد لا يستطيعون رد ذلك ولا الاختيار فيه،

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(القصص: ٦٨).

وهذا أدعى لتسليمهم له وتوكلهم عليه.

ويقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٧٦).

وفيه بيان أن المقصود من البلاء والعذاب فى الدنيا قد يكون أن يستكين العبد ويتضرع لربه، وفى هذا مصلحة أى مصلحة، ومثله فى المقصود من قوله تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الروم: ٤١).

ومثله قوله تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(السجدة: ٢١).

ومثلة قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الأحقاف: ٢٧).

ومثل هذا المعنى كثير فى كتاب الله.

ويقول تعالى:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الحشر: ٢١).

وفيه بيان أن المقصود من إخبارنا بهذه المسألة الغيبية هو أن نتفكر ونتعظ.

وفى كتاب الله عز وجل من ذلك الكثير مما يدل على مقاصد أفعال الله تعالى وصفاته وغير ذلك من مسائل العقائد، استقراءً، بغض النظر عن الجدل الفلسفى والتعقيد الكلامى، والله أعلم وأحكم.

«يتبع»